ملخص خطبة الجمعة

٢٠٢٢/٧/٢٩م

يتابع حضرته الحديث عن المهمات العسكرية في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، والتي وقعت تحت قيادة خالد بن الوليد ﷺ.

معركة الحيرة وقعت في أوائل ربيع الأول السنة الثانية عشرة للهجرة، بين جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ﷺ وتحالف الفرس وسكان الحيرة من العرب.

هرب حاكم الحيرة الفارسي عندما فشلت خطته بإعاقة تقدم المسلمين في النهر، ولجأ أهل الحيرة إلى التحصن بحصونهم الأربعة. ولكنهم لما رأوا أن المسلمين ينتصرون أبدوا رضاهم بفتح الحصون، وخرج رؤساء القصور وأقرّوا بدفع الجزية. فكتب خالد ﷺ العهد بين أهل الحيرة والمسلمين. لقد عامل المسلمون أهل الحيرة برحابة الصدر، فلما بلغ الدهاقين والرؤساء أخبار عن هذا السلوك أقبلوا يصالحون على الجزية وقبلوا حكم المسلمين عليهم.

وبفتح الحيرة تحقق شطرٌ من آمال أبي بكر ﷺ في فتح العراق وإخضاعه للدولة الإسلامية، تمهيداً لغزو فارس مباشرة. وقد قام خالد بن الوليد –رضي الله عنه– بمهمته في سبيل ذلك خير قيام، ووصل إلى الحيرة في وقت قياسي، حيث بدأ مهمته الحربية في العراق بمعركة **الكاظمة** في شهر محرم من العام الثاني عشر الهجري، وانتهى من فتح الحيرة في شهر ربيع الأول من العام نفسه.

معركة الأنبار أو معركة ذات العيون التي وقعت فى العام الثاني عشر الهجري. كانت جنود الفرس معسكرة في الأنبار وعين التمر قريبا جدا من الحيرة.

وورد أن وجود الكتائب الفارسية في تلك المنطقة كان يمثل تهديدا شديدا للمسلمين، فأمر خالد جنوده أن يكون على أهبة الاستعداد.

ولما استقام الأمر لخالد في الحيرة واستتب الأمن فيها وما حولها، اتجه لإغاثة عياض بن غنم الذي أرسله سيدنا أبو بكر الصديق لفتح العراق من ناحية الشمال والالتقاء بخالد. وكان على جنود الفرس في الأنبار شيرزاذُ صاحبُ ساباط. تحصن أهل الأنبار وحفروا خندقًا حول الحصن وملأوه بالماء. وكان الخندق قريبًا جدًا من سور الحصن، وكلما اقترب منه بعض جنود المسلمين رشقته جنود الأعداء من السور بالنبال بشدة وأرغموه على التراجع.

فوضع خالد خطة بما آتاه الله من فراسة ثاقبة، فانهزم العدو ودخلوا الحصن. وراسلَ حاكمُ الأنبار شيرزاذُ خالدا في الصلح على أن يخلي له السبيل مع كتيبة من رجاله لا متاع معهم حتى يبلغ مأمنه، فقبل خالد بن الوليد عرضه. ثم بعد ذلك صالحَ خالد أهل ضواحي الأنبار أيضا.

معركة عين التمر التي وقعت في العام الثاني عشر الهجري. لما فرغ خالد من فتح الأنبار واستحكمت له، قصدَ عينَ التمر القريبةَ من الأنبار، وكان مهرانُ بن بهرام حاكمًا بها من قبل الفُرس، جمع عظيم من العرب البدو تحت قيادة عقة ابن أبي عقة. نزل عقةُ على الطريق لمواجهة خالد، وبينما عقة يسوى صفوفه هجم عليه خالد بنفسه، وأخذه أسيرا وانهزم جندُه من غير قتال، فأُسرَ أكثرُهم. ولما جاء الخبر مهران هرب في جنده وتركوا الحصن. ولما انتهت فلول عقة المنهزمة إلى الحصن اقتحموه واعتصموا به وأقبل خالد وحاصرهم فلما رأوه سألوه الأمان فأبى إلا على حكمه فقبلوا حكمه ووضعوا الأسلحة، فأسرهم.

معركة دومة الجندل وقعت في عام ١٢ من الهجرة. هذه المدينة الشامية هي الأقرب إلى المدينة المنورة.

اضطر عياض بن غنم الذي أرسله حضرة أبو بكر إلى دومة، إلى مواجهة ومقاومة العدو لفترة طويلة، على طلب العون من خالد رضي الله عنه. مضى خالد ووصل إلى دومة وجعلها بين عسكره وعسكر عياض. وكان النصارى الذين أمدوا أهل دومة من العرب محيطين بحصن دومة ولم يسع الحصن لجميعهم. فلما اطمأن خالد وسوّى الصفوف خرج قادة العدو من الحصن وهجموا عليه، فنشبت حرب ضروس، فانتصر خالد وعياض على خصمهما.

وبفتح دومة الجندل أصبح للمسلمين موقع استراتيجي ذو أهمية فريدة لأن دومة الجندل تقع على ملتقى الطرق إلى ثلاث جهات.

معركة حصيد وخنافس: حصيد وادٍ صغير بين كوفة والشام وخنافس موضع نحو العراق قرب أنبار. التقى العرب والعجم في حصيد، فاقتتلوا، فقتل الله العجم مقتلة عظيمة، وقتل القعقاع زرمهر، وقتل روزبه، وغنم المسلمون يوم حصيد غنائم كثيرة وأرز فلال حصيد إلى الخنافس فاجتمعوا بها.

سار أبو ليلى بمن معه ومن قدم عليه نحو الخنافس وقد أرزت فلال حصيد إلى زرمهر فلما أحس زرمهر هرب ومن معه وأرزوا إلى المضيح وبه الهذيل ولم يلق بالخنافس كيدا وبعثوا إلى خالد بالخبر جميعا.

معركة المصيخ: ولما انتهى الخبر إلى خالد بمصاب أهل الحصيد وهرب أهل الخنافس كتب إلى القعقاع وأبي ليلى وأعبد وعروة وواعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصيخ، وخرج خالد من العين قاصدًا إليهم. فلما كان

تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعًا بالمصيخ فأغاروا على الهذيل ومن معه وهم نائمون من ثلاثة أوجٍ فقتلوهم، وأفلت الهذيل في ناس قليل.

مشهد الثنى والزميل: (الزميل موضع يُسمى بشر أيضا وهو بجنب الثنى) نزل ربيعة بن بجير الثنى والبشر غضبًا لعقة الذي كان قد قتل في عين التمر، فلما أصاب خالد أهل المضيح تقدم إلى القعقاع والى أبي ليلى بأن يرتحلا أمامه وواعدهما الليلة ليفترقوا فيها للغارة عليهم من ثلاثة أوجه ثم خرج خالد من المضيح فنزل الزُمَيل، فبدأ بالثنى واجتمع هو وأصحابه فبيَّته من ثلاثة أوجه بياتا ومن اجتمع له من الشبان فجردوا فيهم السيوف فلم يفلت من ذلك الجيش، واستبى النسوان وبعث بخمس الله إلى أبي بكر وقسم النهب والسبايا. وكان الهذيل حين نجا أوى إلى الزميل إلى عتاب وهو بالبشر في عسكر ضخم، فبيتهم بمثلها من ثلاثة أوجه سبقت إليهم الخبر عن ربيعة فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصابوا منهم ما شاؤا وقسم خالد فيأهم في الناس وبعث بالأخماس إلى أبي بكر ﷺ. ثم عطف خالد من البشر إلى الرضاب وبها هلال بن عقة وقد ارفض عنه أصحابه حين سمعوا بدنو خالد وانقشع عنها هلال فلم يلق كيدا بها وفرض المسلمون السيطرة على الرضاب. (تاريخ الطبري ج٢)

معركة الفراض، هذه المعركة وقعت بين المسلمين والروم في ذي القعدة من ١٢ للهجرة في الفِراض.

فيها واجه المسلمون لأول مرة جيشًا مكونًا من الفرس الذين يمثلون دولة المشرق العظمى، والروم الذين يمثلون دولة المغرب العظمى، والعرب الموالين لهؤلاء وهؤلاء ومع ذلك انتصر المسلمون عليهم انتصاراً ساحقًا، ولاشك أن هذه المعركة تعتبر –من المعارك التاريخية الفاصلة– وإن لم تَنَلْ من الشهرة ماناالته المعارك الكبرى إلا أنها حطمت معنويات الكفار على مختلف انتماءاتهم حيث هُزموا جميعًا، وهذه المعركة تعتبر خاتمة المعارك التي خاضها سيف الله المسلول خالد بن الوليد ﷺ في العراق، وانكسرت شوكة الفرس بعد هذه المعركة و لم تقم لهم قوة حربية يخشاها الإسلام بعد هذه الموقعة.

وعلق حضرته على كل هذه الفتوحات: في جميع مراحل المعارك ضد منكري الزكاة والمرتدين والمتمردين حتى فتح العراق، إن ما أبداه سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ من السلوك الشخصي وحسن التدبير، والعزيمة، قد ولدت الحماس في قلوب المسلمين لتقديم أكبر تضحية. إذا كانت جميع أوامره وتوجيهاته تتمتع بالشمول والحكمة والفراسة، من ناحية فكان سلوكه الشخصي أعظم من ذلك بكثير من ناحية أخرى. فهل يقدر أي قائد على إثبات أكبر للصبر والعزيمة، بحيث لا نجد من البداية إلى النهاية أي موقع غيَّر فيه أوامره الصادرة وقواعده خضوعا بضغط من وقاره الشخصي أو الضغط. وليس ذلك فحسب بل المثال الذي قدمه سيدنا أبو بكر ﷺ لإقامة أسمى معيار لحسن الظن والثقة بأعمال أتباعه الموهوبين ولتقوية حماس الإيثار والتضحية يتعذر نظيره.